

الحلقة الثانية عشرة

سفر الأمثال

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. كنا بدأنا قبل عدة لقاءات بدراسة سفر الأمثال للملك سليمان. وعلمنا أن هدف سفر الأمثال تقديم نصائح عملية على شكل أمثال تحمل حقائق أخلاقية، لكي تعلم الناس كيف يحيون حياة نقيّة وصادقة.

انتهينا في اللقاء الماضي من دراسة الدرس السادس من دروس الحكمة للشباب، حيث تبين لنا أن المخلص المسيح هو مثالنا والمعلم الصالح الذي يجب أن نتبعه، ونسلك بحسب تعليمه. وأن كلمة الله تحيي قلوبنا من الداخل وتحفظنا. وأن الحصول على حكمة الله تعلّي الإنسان وترفع من شأنه.

ما هو موقفك من أفعال الشر يا صديقي؟ هل تحب الشر أم تكرهه؟ قد يبدو هذا السؤال غريباً بعض الشيء، إذ ستجيب بالطبع إنني لا أحب الشر ولا أفعال الإثم. لكن الحقيقة أن كل واحد منا يجد نفسه أسيراً لأفعال الشر حتى وإن لم يرد ذلك. كونوا كارهين الشر، هذا هو موضوع الدرس السابع للشباب.

بدأ سليمان الحكيم هذا الدرس قائلاً: "اسمع يا ابني واقبل أقوالي فتكثر سنو حياتك. أريتك طريق الحكمة. هديتك سبل الاستقامة. إذا سرت فلا تضيق خطواتك وإذا سعيت فلا تعثر. تمسك بالأدب لا ترخه. احفظه فإنه هو حياتك." (أمثال ٤: ١٠-١٣) يحض هنا سليمان الحكيم الشباب أو التلاميذ مرة أخرى، لكي يتمسكوا بالتعاليم الروحية والأخلاقية التي تعلموها. وهذا أمر صحيح حتى من الناحية العلمية، فإذا أهمل الإنسان ما تعلمه، ولم يمارسه في حياته، فإنه سريعاً ما ينساه، وتعود معرفته إلى الورا.

هكذا الأمر بالنسبة للناحية الروحية، فعلى الشاب أو التلميذ أن يتمسك بالتعاليم الروحية التي يتعلمها من خلال كلمة الله الحيّة كما جاءت في الكتاب المقدس، وبتعاليم المخلص المسيح، وأن يطبقها في حياته. لأنه بهذه الأمور يستطيع أن يحفظ نفسه من أفعال الشر والإثم. فمن كلمة الله نتعلم الكثير من المبادئ الروحية العليا، والقيم الأخلاقية السامية، التي هي كما سماها سليمان الحكيم سبل الاستقامة. فإذا سار عليها الإنسان يكتشف معنى الحرية الحقّة، إذ يسلك في الطريق المستقيم، وهذا يحفظه من السقوط أو التعثر.

وكما قال سليمان الحكيم في هذا الدرس إن التمسك بالأدب أو بالطريق الصحيح الذي هو المخلص المسيح، هو مصدر الحياة للإنسان، وهو أساس الحكمة. ألم يقل المخلص المسيح مرة: "أنا هو الطريق والحق والحياة ليس أحد يأتي إلى الآب (أي إلى الله الآب) إلا بي." (بشارة يوحنا ١٤:٦)

وتابع سليمان الحكيم محذراً الشباب من طرق الأشرار فكتب قائلاً: "لا تدخل في سبيل الأشرار ولا تسر في طريق الأثمة. تنكب عنه. لا تمر به. حد عنه واعبر. لأنهم لا ينامون إن لم يفعلوا سوءاً ويُنزع نومهم إن لم يُسقطوا أحداً. لأنهم يطعمون خبز الشر ويشربون خمر الظلم." (أمثال ١٤:١٧-١٧)

هل تعلم يا صديقي أن الأشرار يخدعون الناس الآخرين بمكرهم ودهائهم؟ فيصورون لهم سهولة الشر، ومدى النجاح الذي يحققونه. لكن الحقيقة هي أن طرق الأشرار هي طرق مدمرة لحياة الإنسان، وعاقبتها وخيمة. لهذا يحذر سليمان الحكيم الشباب من الوقوع في شرك هؤلاء الأشرار، وعدم الانجرار وراء طرقهم الرديئة، وسلوكهم المعوج. لا بل يطلب منهم الابتعاد قدر الإمكان عنها، وعدم الوقوف عندها أي حتى التفكير بالموضوع، لأن الأمر لا يحتاج إلى بحث ومناقشة.

ويصف سليمان الحكيم مقدار شر هؤلاء الأشرار بالقول أنهم لا ينامون إن لم يفعلوا سوءاً، لا بل يُنزع نومهم أي يذهب نومهم إن لم يُسقطوا أي يضرروا أحداً. والسبب لأنهم يأكلون دائماً خبز الشر، ويشربون باستمرار خمر الظلم، أي أن حياتهم مجبولة بالشر، وعليهم أن يفعلوا الشر دائماً. ألم تصادف يا صديقي أمثال هؤلاء الناس الأشرار في حياتك؟ فهم يخترعون الشر لكي يؤذوا الآخرين، ولا يرتاحون إلا عندما يفعلون الشر. ولهذا علينا أن نحذر أمثال هؤلاء الناس، ونبتعد عن طرقهم الشريرة. وهو ما حذرنا منه أيضاً العهد الجديد من الكتاب المقدس.

إذا كانت هذه هي صفات الأشرار وطرقهم، لكن ماذا عن الصديقين الذين يسلكون في طرق الصلاح والخير؟ ولهذا تابع سليمان الحكيم قائلاً: "أما سبيل الصديقين فنور مشرق يتزايد وينير إلى النهار الكامل. أما طرق الأشرار فكالظلام. لا يعلمون ما يعثرون به." (أمثال ١٨:٤ و١٩) حقاً إنه وصف جميل وبلغ لهؤلاء الصديقين أو الأبرار الذين اختبروا خلاص الله، وآمنوا بالمخلص المسيح، فغيّر الله حياتهم رأساً على عقب، وتحرروا من عبودية الخطية، وصاروا يسلكون في طرق الصلاح والخير، وابتعدوا عن طرق الشر والإثم.

هؤلاء الأبرار هم كالنور المشرق الذي يتزايد فيطرد الظلمة، ويغدو النهار مشرقاً بالكامل. وهو ما تحدث به المخلص المسيح إذ قال لهم: "أنتم نور العالم. لا يمكن أن تُخفى مدينة موضوعة على جبل. ولا يوقدون سراجاً ويضعونه تحت المكيال بل على المنارة فيضيء لجميع الذين في البيت." (بشارة متى ٥: ١٤ و ١٥)

هل تعلم يا صديقي أن المؤمن بالمخلص المسيح هو نور للعالم؟ لأن نور المسيح (نور العالم الحقيقي) الذي ملأ قلبه يجعله يشع على الآخرين نوراً ينير الطريق أمام الآخرين. ولقد وصفه المسيح أيضاً بالمدينة القائمة على جبل التي يراها الجميع، وبالمنارة التي تضيء إلى جميع الناس. ولهذا حثّ المخلص المسيح تابعيه قائلاً: "فليضيء نوركم هكذا قدام الناس لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذي في السموات." (بشارة متى ٥: ١٦) إن نور المؤمن بالمسيح يجب أن يشع أمام الآخرين عن طريق أعمال الخير والصلاح.

أما الرسول بولس فلقد وجّه كلامه إلى المؤمنين بالمسيح قائلاً: "لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرة... لكي تكونوا بلا لوم وبسطاء أولاداً لله بلا عيب في وسط جيل معوج وملتو تضيئون بينهم كأنوار في العالم." (الرسالة إلى فيليبي ١٥، ٢: ١٣) إن المؤمن بالمسيح يعيش في وسط جبل شريير، لهذا عليه أن يضيء لهم كالنور في وسط العالم.

لعلّ السؤال الآن: ألا ترغب صديقي أن تتحرر من عبودية الخطية وأن تكون من أولئك الصديقين الأبرار الذين يضيئون إلى العالم المظلم من حولهم؟ تعال إذن بتوبة صادقة إلى الله مؤمناً بالمخلص المسيح الذي هو نور العالم، والذي مات على الصليب لكي يكفر عن ذنوبك. وهكذا تصبح من أولئك الصديقين الأبرار، فتعكس لمن حولك نور المسيح الذي يملأ قلبك. وتحصل في نفس الوقت على أعظم شيء في الوجود.